تفسير سورةُ فصلت
من آية (30) إلى آية (36)
اللقاء الرابع

المعنى الإجمالي من آية (19) إلى آية (29):

يقولُ تعالى -مبيِّنًا جانبًا مِن أحوالِ الكافرينَ يومَ القِيامةِ-: واذكُرْ يومَ يَجمَعُ اللهُ أعداءَه الكافِرينَ به، فيُحبَسُ أوَّلُهم على آخِرِهم، فيُساقُونَ إلى النَّارِ سَوقًا عَنيفًا مُهينًا، حتى إذا جاء أولئك الكُفَّارُ النَّارَ شَهِدَ عليهم سَمْعُهم وأبصارُهم وجُلودُهم بما كانوا يَعمَلونَ في الدُّنيا مِن آثامٍ! وقالوا لجُلودِهم مُنكِرينَ عليهم: لم شَهِدْتُم علينا؟! فقالتْ جلودُهم: أنطَقَنا اللهُ الَّذي أنطَقَ كُلَّ شَيءٍ بقُدرتِه، وهو خَلَقَكم أوَّلَ مَرَّةٍ، وإليه تُرجَعونَ بعدَ مَوتِكم!

وما كُنتُم في الدُّنيا تَستَخْفونَ بتَرْكِ الكُفرِ والمعاصي مخافةَ أنْ يَشهَدَ عليكم سَمْعُكم وأبصارُكم وجُلودُكم يومَ القِيامةِ، ولكِنْ ظَنَنتُم أنَّ اللهَ لا يَعلَمُ كَثيرًا ممَّا تَعمَلونَ!

ثمَّ يُبيِّنُ سبحانَه سُوءَ عاقبةِ ظنِّهم، فيقولُ: وذلكم الظَّنُّ السَّيِّئُ الذي ظَنَنْتُموه برَبِّكم أهلَكَكم فأصبَحتُم يومَ القِيامةِ مِنَ الخاسِرينَ الهالِكينَ.

فإنْ يَصبِرْ أولئك الكُفَّارُ على النَّارِ فالنَّارُ مُستَقَرٌّ لهم أبدًا، وإن يَطلُبوا مِنَ اللهِ الرِّضا عنهم وقَبولَ تَوبتِهم ومَعذرتِهم، فلن يَرضَى عنهم، ولنْ يَقبَلَ تَوبتَهم ومَعذِرتَهم!

يقولُ تعالى مبيِّنًا الأسبابَ الَّتي أدَّت إلى سوءِ عاقبةِ الكافرينَ: وقَدَّرْنا وسَبَّبْنا للكُفَّارِ قُرَناءَ سُوءٍ، فحَسَّنوا لهم الحياةَ الدُّنيا وشَهَواتِها المحَرَّمةَ، والتَّكذيبَ بالبَعثِ والجَزاءِ، ووَجَب عليهم عذابُ اللهِ في جُملةِ أُمَمٍ قد مضَت قَبْلَهم مِن كُفَّارِ الجِنِّ والإنسِ؛ إنَّهم كانوا خاسِرينَ.

ثمَّ يَحكي اللهُ تعالى ما تَواصَى به المشركونَ فيما بيْنَهم، فيقولُ: وقال كُفَّارُ قُرَيشٍ خَوفًا مِن تأثيرِ القُرآنِ: لا تُنصِتُوا لهذا القُرآنِ، وعارِضوه بما لا يُفهَمُ مِن التَّصفيقِ والصَّفيرِ وباطِلِ الكَلامِ؛ لعَلَّكم تَغلِبونَ بذلك محمَّدًا وأتْباعَه!

ثمَّ يَرُدُّ اللهُ تعالى عليهم مُهدِّدًا لهم، فيقولُ: فلَنُذيقَنَّ أولئك الَّذين كَفَروا عَذابًا شديدًا، ولَنَجزيَنَّهم أسوَأَ ما كانوا يَعمَلونَ مِنَ السَّيِّئاتِ، ذلك العَذابُ الَّذي نَجزي به الكُفَّارَ هو النَّارُ، لهم فيها دارُ الخُلودِ الدَّائِمِ؛ جزاءً بسَبَبِ كُفْرِهم وتَكذيبِهم بآياتِنا.

ثمَّ يَحكي اللهُ تعالى بعضَ أقوالِهم الَّتي يقولونَها وهم في النَّارِ، فيقولُ: وقال الَّذين كَفَروا: رَبَّنا أرِنَا اللَّذَينِ أضَلَّانا عن الحَقِّ مِن شَياطينِ الجِنِّ والإنسِ نجعَلْهما تحتَ أقدامِنا؛ لِيَكونا دونَنا، وأشَدَّ مِنَّا في العذابِ!

(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ)

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿30﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا أطنَبَ في الوَعيدِ؛ أردَفَه بهذا الوَعدِ الشَّريفِ، وهذا ترتيبٌ لَطيفٌ مَدارُ كُلِّ القُرآنِ عليه

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) أي: إنَّ الَّذين قالوا نُطقًا بألسِنَتِهم، واعتِقادًا بقُلوبِهم: ربُّنا اللهُ وَحْدَه، ثمَّ استَقاموا على تَوحيدِ اللهِ، وامتِثالِ أوامِرِه، واجتِنابِ نَواهيه، وداوَموا على طاعتِه بإخلاصٍ له، ومُوافَقةٍ لِشَرعِه بلا إفراطٍ ولا تَفريطٍ. موسوعة التفسير

قال ابنُ عاشور: (معنى قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ أنَّهم صَدَعوا بذلك، ولم يَخشَوا أحدًا بإعلانِهم التَّوحيدَ؛ فقَولُهم تصريحٌ بما في اعتِقادِهم؛ لأنَّ المرادَ أنَّهم قالوا ذلك عن اعتقادٍ).

قال ابن عاشور: جَمَع أصلَي الكَمالِ الإسلاميِّ؛ فقَولُه: قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ مُشيرٌ إلى الكَمالِ النَّفْسانيِّ، وهو مَعرِفةُ الحَقِّ لِلاهتِداءِ به، ومَعرِفةُ الخَيرِ لأجْلِ العَمَلِ به؛ فالكَمالُ عِلْمٌ يَقينيٌّ وعَمَلٌ صالِحٌ، فمَعرِفةُ اللهِ بالإلهيَّةِ هي أساسُ العِلْمِ اليَقينيِّ. وأشار قَولُه: اسْتَقَامُوا إلى أساسِ الأعمالِ الصَّالحةِ، وهو الاستِقامةُ على الحَقِّ، أي: أن يكونَ وَسَطًا غيرَ مائِلٍ إلى طَرَفَيِ الإفراطِ والتَّفريطِ؛ قال تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة: 6]، وقال: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا [البقرة: 143].

كما قال تعالى: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ [هود: 112].

وعن سُفْيانَ بنِ عبدِ اللهِ الثَّقَفيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، قُلْ لي في الإسلامِ قَولًا لا أسألُ عنه أحدًا بَعْدَك. قال: قُلْ: آمَنْتُ باللهِ، فاستَقِمْ)). رواه مسلم

(تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) أي: أولئك المؤمِنونَ المستَقيمونَ تَتَنَزَّلُ عليهم الملائِكةُ. موسوعة التفسير

قال البقاعي: فيه أنَّ المصلِحَ يُيَسِّرُ اللهُ له أولياءَ الخَيرِ مِن الإنسِ والملائِكةِ، يُعينونَه ويُحَبِّبونَه في جَميعِ الخَيراتِ، ويُبعِدونَه ويُكَرِّهونَه في جميعِ المضَرَّاتِ، واللهُ يَتولَّى الصَّالحينَ.

قال ابن عثيمين: (تَتَنَزَّلُ مدلولُها ... أنَّ تَنزُّلَهم يكونُ شيئًا فشيئًا... لا تَتنزَّلُ دَفْعةً واحدةً، والثَّاني أنَّ التَّنزُّلَ أو النُّزولَ مُتكرِّرٌ).

- قيل: تَنزُّلُ الملائكةِ على المؤمِنِ يكونُ عندَ الموتِ.
- وقيل: عندَ الموتِ، وفي القبرِ، وعند البَعثِ. وممَّن قال بهذا القَولِ: ابنُ القيِّم.

❍وقيل: تنَزُّلُ الملائكةِ على المؤمنِ: في حياتِه؛ لتأييدِه بإلهامِ الطَّاعاتِ، ومُحاربةِ الشَّياطينِ ونَحوِ ذلك، وبذلك تتِمُّ مُقابَلةُ تنَزُّلِهم على المؤمنينَ بذِكرِ تَقييضِ القُرَناءِ للكافِرينَ، المتقَدِّمِ ذِكرُها في الآياتِ السَّابِقةِ. وممَّن اختاره: أبو السعود، واستحسَنَه ابن عاشور.

❍وقيل: المرادُ: العُمومُ؛ فالملائِكةُ تتنَزَّلُ في الحياةِ، وعندَ الموتِ، وفي كُلِّ حالٍ تَقتضي نزولَهم على المؤمنِ المستقيمِ. وممَّن ذهب إلى هذا العُمومِ في الجُملةِ: البِقاعي، وابنُ عثيمين.

قال ابن القيم: وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يُعَانِي الطَّاعَةَ وَيَأْلَفُهَا وَيُحِبُّهَا وَيُؤْثِرُهَا حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ تَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا، وَتُحَرِّضُهُ عَلَيْهَا، وَتُزْعِجُهُ عَنْ فِرَاشِهِ وَمَجْلِسِهِ إِلَيْهَا. وَلَا يَزَالُ يَأْلَفُ الْمَعَاصِيَ وَيُحِبُّهَا وَيُؤْثِرُهَا، حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينَ، فَتَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا. فَالْأَوَّلُ قَوِيٌّ جَنَّدَ الطَّاعَةَ بِالْمَدَدِ، فَكَانُوا مِنْ أَكْبَرِ أَعْوَانِهِ، وَهَذَا قَوِيٌّ جَنَّدَ الْمَعْصِيَةَ بِالْمَدَدِ فَكَانُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ.

عن البَراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقِطاعٍ مِنَ الدُّنيا، وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نزَلَ إليه مَلائكةٌ مِنَ السَّماءِ، بِيضُ الوُجوهِ، كأنَّ وُجوهَهم الشَّمسُ، معهم كَفَنٌ مِن أكفانِ الجَنَّةِ، وحَنُوطٌ مِن حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتَّى يَجلِسوا مِنه مَدَّ البَصَرِ ، ثمَّ يَجيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السَّلامُ حتَّى يَجلِسَ عندَ رَأسِه، فيَقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبةُ، اخرُجي إلى مَغفِرةٍ مِنَ اللهِ ورِضوانٍ، فتَخرُجُ تَسيلُ كما تَسيلُ القَطرةُ مِن فِي السِّقاءِ، فيَأخُذُها، فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفةَ عَينٍ حتَّى يَأخُذوها فيَجعَلوها في ذَلِك الكَفَنِ وفي ذَلِك الحَنُوطِ "ما يُخلَطُ مِن الطِّيبِ لأكفانِ الموتَى وأجسادِهم"، ويَخرُجُ مِنها كأَطْيَبِ نَفْحةِ مِسْكٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ، فيَصعَدونَ بها، فلا يَمُرُّونَ بها على مَلَأٍ مِنَ الملائكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فيَقولونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ؛ بأحسَنِ أسمائِه الَّتي كانوا يُسَمُّونَه بها في الدُّنيا، حتَّى يَنتَهوا بها إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيَستَفتِحونَ له، فيُفتَحُ لهم، فيُشَيِّعُه مِن كُلِّ سَماءٍ مُقَرَّبوها إلى السَّماءِ الَّتي تَلِيها، حتَّى يُنتَهى به إلى السَّماءِ السَّابعةِ، فيَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكتُبوا كِتابَ عَبدي في عِلِّيِّينَ، وأعيدُوه إلى الأرضِ؛ فإنِّي منها خلَقْتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أُخرى...)) ((صحيح الترغيب)).

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((مَن أحَبَّ لِقاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لِقاءَه، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَه. قُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، كُلُّنا نَكرَهُ الموتَ. قال: ليس ذاك كراهيةَ الموتِ، ولكِنَّ المؤمنَ إذا حُضِرَ جاءَه البشيرُ مِنَ اللهِ بما هو صائِرٌ إليه، فليس شَيءٌ أحَبَّ إليه مِن أن يكونَ قد لَقِيَ اللهَ، فأحَبَّ اللهُ لِقاءَه؛ وإنَّ الفاجِرَ أو الكافِرَ إذا حُضِرَ جاءَه بما هو صائِرٌ إليه مِنَ الشَّرِّ، أو ما يَلقاه مِنَ الشَّرِّ، فكَرِهَ لِقاءَ اللهِ، وكَرِهَ اللهُ لِقاءَه)) أخرجه أحمد.

(أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) أي: تَتَنَزَّلُ عليهم الملائِكةُ بأنْ لا تخافُوا ممَّا يُستَقبَلُ، ولا تَحزَنوا على ما مَضى.

موسوعة التفسير

❍قيل: المرادُ: لا تخافوا مِنَ الموتِ، ولا تَحزنوا على ما خلَّفتُم وراءَكم في الدُّنيا مِن أهلٍ أو ولدٍ.

قال مجاهد: إن المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه.

قال الرازي: يُفيدُ نَفيَ الخَوفِ والحُزنِ على الإطلاقِ، فيَدُلُّ على أنَّ المؤمِنَ عندَ الموتِ وفي القَبرِ وعندَ البَعثِ: لا يكونُ فازِعًا مِن الأهوالِ ومِن الفَزَعِ الشَّديدِ، بل يكونُ آمِنَ القَلبِ ساكِنَ الصَّدرِ.

(وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) أي: وأبشِروا بالجَنَّةِ الَّتي كُنتُم تُوعَدونَ بدُخولِها في كُتُبِ اللهِ وعلى ألسِنةِ رُسُلِه؛ جَزاءَ إيمانِكم باللهِ، واستِقامتِكم على دِينِه. موسوعة التفسير

وقال ابنُ كثيرٍ: قال زيدُ بنُ أسْلَمَ: «يُبشِّرونَه عندَ مَوتِه، وفي قَبرِه، وحينَ يُبعَثُ».

قال ابن عاشور: قولُه: أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (لا) ناهيةٌ، والمقصودُ مِنَ النَّهيِ عنِ الخَوفِ النَّهيُ عن سَبَبِه، وهو تَوَقُّعُ الضُّرِّ أيْ: لا تَحسَبوا أنَّ اللهَ مُعاقِبُكم؛ فالنَّهيُ كِنايةٌ عنِ التَّأمينِ مِن جانِبِ اللهِ تَعالى؛ لِأنَّهم إذا تَحَقَّقوا الأمْنَ زالَ خَوفُهم، وهذا تَطمينٌ مِنَ الملائِكةِ لِأنْفُسِ المؤمِنينَ. وألحَقوا بتَأْمينِهم بِشارَتَهم وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ؛ لِأنَّ وَقْعَ النَّعيمِ في النَّفْسِ مَوقِعَ المسَرَّةِ إذا لم يُخالِطْه تَوَقُّعُ المكروهِ.

كما قال الله تبارك وتعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأحقاف: 13، 14].

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ﴿31﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: أنَّ اللهَ تعالى أخبَرَ في هذه الآيةِ الكريمةِ عن الملائِكةِ أنَّهم قالوا للمُؤمِنينَ: نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [فصلت: 31]، وهذا في مُقابَلةِ ما ذكَرَه في وَعيدِ الكُفَّارِ؛ حيث قال: وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ [فصلت:25].

(نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) أي: نحن نَتَوَلَّاكم في الحياةِ الدُّنيا، ونتَوَلَّاكم في الآخِرةِ أيضًا. موسوعة التفسير

قال ابنُ كثير: (أي: تقولُ الملائِكةُ للمُؤمِنينَ عندَ الاحتِضارِ: نحن كُنَّا أولياءَكم، أي: قُرَناءَكم في الحياةِ الدُّنيا؛ نُسَدِّدُكم ونُوَفِّقُكم، ونَحفَظُكم بأمرِ الله، وكذلك نكونُ معكم في الآخِرةِ؛ نُؤنِسُ منكم الوَحشةَ في القُبورِ، وعندَ النَّفخةِ في الصُّورِ، ونُؤَمِّنُكم يومَ البَعثِ والنُّشورِ، ونُجاوِزُ بكم الصِّراطَ المستقيمَ، ونُوصِلُكم إلى جنَّاتِ النَّعيمِ).

قال ابن عاشور: تعريفٌ بأنفُسِهم للمُؤمِنينَ؛ تأنيسًا لهم؛ فإنَّ العِلمَ بأنَّ المتلَقِّيَ صاحِبٌ قديمٌ يَزيدُ نفْسَ القادِمِ انشِراحًا وأُنسًا، ويُزيلُ عنه دَهشةَ القُدومِ، ويُخَفِّفُ عنه مِن حِشمةِ الضِّيافةِ، ويُزيلُ عنه وَحشةَ الاغترابِ، أي: نحنُ الَّذين كنَّا في صُحبتِكم في الدُّنيا؛ إذ كانوا يَكتُبونَ حَسَناتِهم، ويَشهَدونَ عندَ اللهِ بصَلاتِهم.

وقال السعدي: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ يَحُثُّونَهم في الدُّنيا على الخَيرِ ويُزَيِّنونَه لهم، ويُرَهِّبونَهم عن الشَّرِّ ويُقَبِّحونَه في قُلوبِهم، ويَدْعُونَ اللهَ لهم، ويُثَبِّتونَهم عندَ المصائِبِ والمخاوِفِ، وخُصوصًا عندَ الموتِ وشِدَّتِه، والقَبرِ وظُلمتِه، وفي القيامةِ وأهوالِها، وعلى الصِّراطِ، وفي الجنَّةِ يُهنِّئونَهم بكرامةِ رَبِّهم، ويَدخُلونَ عليهم مِن كُلِّ بابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ [الرعد: 24]).

كما قال اللهُ سُبحانَه وتعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا [الأنفال: 12].

وقال عزَّ وجلَّ: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [النحل: 32].

وقال تبارك وتعالى: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ [الزمر: 73].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((يتعاقَبونَ فيكم مَلائِكةٌ باللَّيلِ، وملائِكةٌ بالنَّهارِ، ويَجتَمِعونَ في صَلاةِ الفَجرِ وصَلاةِ العَصرِ، ثمَّ يَعرُجُ الَّذين باتُوا فيكم، فيَسألُهم رَبُّهم وهو أعلَمُ بهم: كيف تَرَكتُم عِبادي؟ فيَقولونَ: تَرَكْناهم وهم يُصَلُّونَ، وأتَيْناهم وهم يُصَلُّونَ)). رواه مسلم

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ) أي: ولكم في الحياةِ الآخِرةِ ما تَشتَهيه أنفُسُكم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ [الزخرف: 71].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((قال اللهُ: أعدَدْتُ لعِبادِيَ الصَّالِحِينَ ما لا عَينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَر على قَلبِ بَشَرٍ)). رواه البخاري

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) أي: ولكم فيها ما تَطلُبونَه وتتَمَنَّونَه. موسوعة التفسير

قال ابنُ عثيمين: (كُلُّ ما اشتهاه الإنسانُ وإن لم يَطلُبْه فإنَّه يَحصُلُ بيْنَ يديه، وكذلك أيضًا كُلُّ ما طَلَبَه فإنَّه يَحضُرُ بيْنَ يديه).

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يَومًا يُحَدِّثُ وعِندَه رجُلٌ مِن أهلِ البادِيةِ: أنَّ رَجُلًا مِن أهلِ الجنَّةِ استأذَنَ رَبَّه في الزَّرعِ، فقال له: ألَسْتَ فيما شِئتَ؟! قال: بلى، ولكِنِّي أُحِبُّ أن أزرَعَ! قال: فبَذَرَ فبادَرَ الطَّرْفَ (فسابَقَه نباتُه وحَصَل في الحالِ) نباتُه واستِواؤُه واستِحصادُه، فكان أمثالَ الجِبالِ! فيَقولُ اللهُ: دُونَك يا ابنَ آدَمَ؛ فإنَّه لا يُشبِعُك شَيءٌ! فقال الأعرابيُّ: واللهِ لا تَجِدُه إلَّا قُرَشيًّا أو أنصاريًّا؛ فإنَّهم أصحابُ زَرعٍ! وأمَّا نحن فلَسْنا بأصحابِ زَرعٍ. فضَحِكَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) رواه البخاري

﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ ﴿32﴾

(نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) أي: هذا الثَّوابُ العَظيمُ في الآخِرةِ تُعطَونَه ضِيافةً وإكرامًا مِنَ اللهِ الغَفورِ السَّاتِرِ لذُنوبِكم، المتجاوِزِ عن عُقوبتِكم؛ الرَّحيمِ بكم، الَّذي مِن رَحمتِه أن وفَّقَكم لطاعتِه، وقَبِل حَسَناتِكم. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: وأُوثِرتْ صِفَتا (الغَفورِ الرَّحيمِ) هنا؛ لِلإشارةِ إلى أنَّ اللهَ غَفَر لهم -أو لِأكثَرِهِمُ- اللَّمَمَ وما تابوا منه، وأنَّه رَحيمٌ بهم؛ لِأنَّهم كانوا يُحِبُّونَه ويَخافونَه ويُناصِرونَ دينَه.

ذكَر المغفرةَ والرَّحمةَ؛ لأنَّهم إنَّما وَصَلوا إلى ذلك بمغفرةِ اللهِ ورحمتِه، ولولا ذلك ما وَصَلوا إلى ما وَصَلوا إليه، ولهذا أخْبَرَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه لن يَدْخُلَ الجنَّةَ أحدٌ بعَمَلِه، ((قالوا: ولا أنت يا رسولَ اللهِ؟ قال: ولا أنا؛ إلَّا أنْ يَتغمَّدنيَ اللهُ برحمتِه))، فالإنسانُ لا يَصِلُ إلى الجنَّةِ بالعملِ؛ ووجْهُ ذلك: أنَّه لو قُوبِلَ العملُ بالنِّعمةِ الَّتي أنْعَم اللهُ بها على الإنسانِ لم يكنْ شيئًا! إذْ إنَّ نِعَمَ اللهِ لا تُحصَى ولا تُعَدُّ. الدرر السنية

وهذا لا يعني عدمَ أهميَّةِ العملِ، فالأعمالُ الصالحةُ سببٌ لدخولِ الجنَّةِ وثمنٌ لها، لكن ليس على وجهِ المقابلةِ أو البدلِ، وتلك الأعمالُ الصالحةُ حصَلتْ للعبدِ برحمةِ الله ومِنَّتِه عليه، لا بحَولِه وقوَّتِه. الدرر السنية

كما قال تعالى: أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة: 19].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿33﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: وأيضًا لَمَّا تقدَّمَ قَولُه تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا؛ ذكَرَ مَن دعا إلى ذلك ؛ فإنَّ مراتِبَ السَّعاداتِ اثنتانِ: التَّامُّ، وفوقَ التَّامِّ؛ أمَّا التَّامُّ: فهو أن يَكتَسِبَ مِن الصِّفاتِ الفاضِلةِ ما لأجْلِها يَصيرُ كامِلًا في ذاتِه، فإذا فَرَغ مِن هذه الدَّرَجةِ اشتغَلَ بَعدَها بتَكميلِ النَّاقِصينَ، وهو فوقَ التَّامِّ؛ فقَولُه: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا [فصلت:30] إشارةٌ إلى المرتبةِ الأُولى، وهي اكتِسابُ الأحوالِ الَّتي تُفيدُ كَمالَ النَّفْسِ في جَوهرِها، فإذا حَصَل الفَراغُ مِن هذه المرتبةِ وَجَب الانتِقالُ إلى المرتبةِ الثَّانيةِ، وهي الاشتِغالُ بتَكميلِ النَّاقِصينَ، وذلك إنَّما يكونُ بدَعوةِ الخَلقِ إلى الدِّينِ الحَقِّ، وهو المرادُ مِن قَولِه تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا) أي: ولا أحَدَ أحسَنُ قَولًا مِمَّن دعا النَّاسَ إلى توحيدِ اللهِ وطاعتِه، وعَمِلَ عَمَلًا صالحًا بإخلاصٍ لله، ومُتابَعةٍ لِشَرعِه. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: الإشارةُ إلى الإخلاصِ في الدَّعوةِ، نأخُذُها مِن قَولِه: إِلَى اللَّهِ؛ لأنَّ الدَّاعيَ رُبَّما يَدعو النَّاسَ ويَعِظُهم يُريدُ بذلك المكانةَ المرموقةَ بيْنَهم، فهذا في حقيقةِ الأمرِ دعا إلى نفْسِه، فلا بُدَّ للداعي مِن الإخلاصِ.

قال ابن عاشور: وذِكرُ هذا الثَّناءِ عليهم بحُسنِ قَولِهم عَقِبَ ذِكرِ مَذَمَّةِ المشرِكينَ ووَعيدِهم على سُوءِ قَولِهم: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ [فصلت: 26]؛ مُشعِرٌ لا مَحالةَ بأنَّ بيْنَ الفَريقَيْنِ بَونًا بَعيدًا، طَرَفاه: الأحسَنُ المصَرَّحُ به، والأسوَأُ المفهومُ بالمقابَلةِ، أيْ: فلا يَستَوي الَّذين قالوا أحسَنَ القَولِ وعَمِلوا أصلَحَ العَمَلِ، مع الَّذين قالوا أسْوَأَ القَولِ وعَمِلوا أسوَأَ العَمَلِ؛ ولهذا عُقِّبَ بقَولِه: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ [فصلت: 34].

كما قال تعالى: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [آل عمران: 104].

وقال سُبحانَه: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي [يوسف: 108].

وعن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال لعَليِّ ابنِ أبي طالبٍ رَضِيَ الله عنه يومَ خَيْبَرَ: ((ادْعُهم إلى الإسلامِ، وأخبِرْهم بما يجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللهِ فيه؛ فواللهِ لَأَنْ يَهديَ اللهُ بك رجُلًا واحِدًا خَيرٌ لك مِن أنْ يكونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ هي الإبِلُ الحُمْرُ، وهي أنفَسُ أموالِ العَرَبِ). متفق عليه

(وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أي: وقال: إنَّني مِنَ المستَسلِمينَ للهِ، المقِرِّينَ بوَحدانيَّتِه، الخاضِعينَ له، المنقادينَ إليه بطاعتِه. موسوعة التفسير

قال الحسن البصري: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفة الله.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿34﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال ابن حيان: لَمَّا ذَكَر اللهُ تعالى أنَّه لا أحَدَ أحسَنُ مِمَّن دعا إلى اللهِ؛ ذَكَرَ ما يَترتَّبُ على ذلك مِن حُسنِ الأخلاقِ، وأنَّ الدَّاعيَ إلى اللهِ قد يُجافيه المِدعُوُّ؛ فيَنبغي أن يَرفُقَ به، ويَتلطَّفَ في إيصالِ الخَيرِ إليه.

(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) أي: ولا تَستوي الخَصلةُ الحَسَنةُ معَ الخَصلةِ السَّيِّئةِ في الجزاءِ وحُسنِ العاقِبةِ. موسوعة التفسير

قال السمعاني: (وأمَّا الحسَنةُ والسَّيِّئةُ ففيهما أقوالٌ؛ أحدُها: أنَّهما التَّوحيدُ والشِّركُ. والآخَرُ: أنَّهما العفوُ والانتِصارُ. والثَّالثُ: أنَّهما المداراةُ والغلظةُ. والرَّابعُ: أنَّهما الصَّبرُ والجزَعُ. والخامسُ: أنَّهما الحِلمُ عندَ الغضَبِ والسَّفَهُ).

(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: فادفَعْ -يا مُحمَّدُ- سَيِّئةَ النَّاسِ بالخَصلةِ الَّتي هي أحسَنُ الخِصالِ؛ فأحسِنْ إلى مَن أساء إليك، وادعُهم بالحِكمةِ والرِّفقِ، واللِّينِ وحُسنِ الخِطابِ، واحلُمْ عليهم، واصفَحْ عنهم، واصبِرْ على أذاهم. موسوعة التفسير

قال الرازي: (يعني: ادفَعْ سفاهتَهم وجهالتَهم بالطَّريقِ الَّذي هو أحسَنُ الطُّرقِ؛ فإنَّك إذا صبَرْتَ على سوءِ أخلاقِهم مرَّةً بعدَ أخرى، ولم تُقابِلْ سفاهتَهم بالغضبِ، ولا إضرارَهم بالإيذاءِ والإيحاشِ؛ استَحيَوا مِن تلك الأخلاقِ المذمومةِ، وتركوا تلك الأفعالَ القبيحةَ).

كما قال تعالى: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ [المؤمنون: 96].

وقال عزَّ وجلَّ: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... [النحل: 125].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ الله عنهما، في وَصفِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في التَّوراةِ قال: ((لا يَدفَعُ بالسَّيِّئةِ السَّيِّئةَ، ولكِنْ يَعفو ويَغفِرُ)) رواه البخاري.

وعن عائِشةَ رَضِيَ الله عنها، قالت: ((لم يكُنْ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فاحِشًا ولا مُتفَحِّشًا، ولا صَخَّابًا في الأسواقِ، ولا يَجْزي بالسَّيِّئةِ مِثلَها، ولكِنْ يعفو ويَصفَحُ)) مسند أحمد.

(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أي: فإنَّك إنْ فعَلْتَ ذلك صار مَن هو عدُوٌّ لك كأنَّه صَديقٌ شَديدُ الوَلاءِ لك، يُحِبُّك ويُشفِقُ عليك، ويُحسِنُ إليك ويُناصِرُك. موسوعة التفسير

قال الشنقيطي: (وَلِيٌّ حَمِيمٌ أي: صديقٌ في غايةِ الصَّداقةِ).

وقال مقاتلٌ: (كأنَّه وَلِيٌّ لك في الدِّينِ، حَمِيمٌ لك في النَّسَبِ، الشَّفيقُ عليك).

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿35﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: لَمَّا أرشَدَ اللهُ تعالى إلى هذا الطَّريقِ النَّافِعِ في الدِّينِ والدُّنيا والآخِرةِ؛ عظَّمَه فقال

(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) أي: وما يُعطَى هذه الخَصلةَ الشَّريفةَ -وهي مُقابَلةُ الإساءةِ بالإحسانِ- ويُوفَّقُ للعَمَلِ بها إلَّا الَّذين صَبَروا على ذلك. موسوعة التفسير

(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) أي: وما يُعطاها إلَّا ذو نَصيبٍ وافرٍ مِنَ الخَيرِ. موسوعة التفسير

قاله ابنُ عبَّاسٍ: أنَّ الحظَّ العظيمَ: الجَنَّةُ. قال الحسَنُ: واللهِ ما عَظُمَ حظٌّ قَطُّ دونَ الجَنَّةِ.

قال السعدي: فيه أنَّه إذا صبَّرَ الإنسانُ نَفْسَه، وامتَثَل أمْرَ رَبِّه، وعَرَف جَزيلَ الثَّوابِ، وعَلِم أنَّ مُقابَلتَه للمُسيءِ بجِنسِ عَمَلِه لا تُفيدُه شَيئًا، ولا تَزيدُ العَداوةَ إلَّا شِدَّةً، وأنَّ إحسانَه إليه ليس بواضِعٍ قَدْرَه، بل مَن تواضَعَ لله رفَعَه: هان عليه الأمرُ، وفَعَل ذلك مُتلذِّذًا مُستَحليًا له.

قال ابن القيم: واسمَعِ الآنَ ما الَّذي يُسَهِّلُ هذا على النَّفْسِ، ويُطَيِّبُه إليها، ويُنَعِّمُها به: اعلَمْ أنَّ لك ذُنوبًا بيْنَك وبيْنَ اللهِ تَخافُ عواقِبَها، وتَرجوه أن يعفوَ عنها، ويَغفِرَها لك، ويَهَبَها لك، ومع هذا لا يَقتَصِرُ على مُجرَّدِ العَفوِ والمسامَحةِ حتَّى يُنعِمَ -سُبحانَه وتعالى- عليك ويُكرِمَك، ويَجلِبَ إليك مِنَ المنافِعِ والإحسانِ فَوقَ ما تؤمِّلُه! فإذا كنتَ ترجو هذا مِن ربِّك أن يُقابِلَ به إساءتَك، فما أَوْلاك وأجدَرَك أن تُعامِلَ به خَلْقَه، وتُقابِلَ به إساءتَهم! ليُعامِلَك اللهُ هذه المعامَلةَ؛ فإنَّ الجزاءَ مِن جِنسِ العَمَلِ، فكما تَعمَلُ

مع النَّاسِ في إساءتِهم في حَقِّك يَفعَلُ اللهُ معك في ذُنوبِك وإساءتِك جزاءً وِفاقًا؛ فانتَقِمْ بعدَ ذلك أو اعْفُ، وأحسِنْ أو اترُكْ؛ فكما تَدينُ تُدانُ، وكما تَفعَلُ معَ عبادِه يَفعَلُ معك. فمَن تصوَّرَ هذا المعنى وشَغَل به فِكرَه هان عليه الإحسانُ إلى مَن أساء إليه، هذا معَ ما يَحصُلُ له بذلك مِن نَصرِ اللهِ ومَعيَّتِه الخاصَّةِ، ومع ما يَتعَجَّلُه مِن ثَناءِ النَّاسِ عليه، ويَصيرونَ كُلُّهم معه على خَصمِه؛ فإنَّه كُلُّ مَن سَمِع أنَّه مُحسِنٌ إلى ذلك الغيرِ وهو مُسيءٌ إليه، وَجَد قَلْبَه ودعاءَه وهِمَّتَه مع المحسِنِ على المسيءِ، وذلك أمرٌ فِطْريٌّ فَطَر اللهُ عِبادَه عليه، فهو بهذا الإحسانِ قد استَخدَمَ عسكرًا لا يَعرِفُهم ولا يَعرِفونَه، ولا يُريدونَ منه إقطاعًا ولا خبزًا، هذا مع أنَّه لا بُدَّ له مع عَدُوِّه وحاسِدِه من إحدى حالتَينِ: إمَّا أن يَملِكَه بإحسانِه فيَستعبِدَه ويَنقادَ له ويَذِلَّ له، ويَبقَى مِن أحَبِّ النَّاسِ إليه، وإمَّا أن يُفَتِّتَ كَبِدَه ويَقطَعَ دابِرَه إن أقام على إساءتِه إليه؛ فإنَّه يُذيقُه بإحسانِه أضعافَ ما يَنالُ منه بانتِقامِه، ومَن جَرَّب هذا عَرَفه حَقَّ المعرِفةِ.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿36﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال ابن حيان: لَمَّا أمَرَ اللهُ تعالى بدَفعِ السَّيِّئةِ بالأحسَنِ، كان قد يَعرِضُ للمُسلِمِ في بَعضِ الأوقاتِ مُقابَلةُ مَن أساء بالسَّيِّئةِ، فأمَرَه إنْ عَرَض له ذلك أن يَستعيذَ بالله؛ فإنَّ ذلك مِن نَزْغِ الشَّيطانِ.

وقال السعدي: وأيضًا لَمَّا ذَكَر اللهُ تعالى ما يُقابَلُ به العَدُوُّ مِن الإنسِ، وهو مُقابَلةُ إساءتِه بالإحسانِ، ذَكَرَ ما يُدفَعُ به العَدُوُّ الجِنِّيُّ، وهو الاستِعاذةُ باللهِ، والالتِجاءُ مِن شَرِّه

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) أي: وإنْ وَجَدْتَ مِنَ الشَّيطانِ وَسوَسةً في نَفْسِك -يا مُحَمَّدُ-؛ لِيُفسِدَ بيْنَك وبيْنَ غَيرِك، فيُغرِيَك بعَداوتِه، والإساءةِ إليه والانتِقامِ منه؛ فالتَجِئْ إلى الله، واطلُبْ منه أن يَعصِمَك منه، ويَحفَظَك مِن كَيدِه وشَرِّه. موسوعة التفسير

قال ابن القيم: مَّا كان الشَّيطانُ على نَوعَينِ: نوعٍ يُرَى عِيانًا، وهو شَيطانُ الإنسِ، ونَوعٍ لا يُرَى، وهو شَيطانُ الجِنِّ؛ أمَرَ سُبحانَه وتعالى نَبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم أن يَكتفيَ مِن شَرِّ شَيطانِ الإنسِ بالإعراضِ عنه والعَفوِ، والدَّفعِ بالَّتي هي أحسَنُ، ومِن شَيطانِ الجِنِّ بالاستعاذةِ باللهِ منه.

قال البقاعي: أي: استَجِرْ بالمَلِكِ الأعلَى، واطلُبْ منه الدُّخولَ في عِصمتِه، مُبادِرًا إلى ذلك حينَ يَنخُسُ بالنَّزْغةِ؛ فإنَّه لا يَقدِرُ على الإعاذةِ منه غيرُه، ولا تَذَرِ النَّزغةَ تَتكَرَّرُ، بل ارجِعْ إلى المحيطِ عِلمًا وقُدرةً في أوَّلِ الخَطْرةِ؛ فإنَّك إنْ لم تخالِفْ أوَّلَ الخَطْرةِ صارت فِكرةً، فيَحصُلُ العَزمُ، فتَقَعُ الزَّلَّةُ، فتصيرُ قَسوةً، فيَحصُلُ التَّمادي.

قال القشيري: ولا يتخَلَّصُ العبدُ مِن نَزَغاتِ الشَّيطانِ إلَّا بصِدقِ الاستِعانةِ وصِدقِ الاستغاثةِ، وبذلك يَنجو مِنَ الشَّيطانِ، وقد قال تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ [الحجر: 42]، فكلَّما ازداد العَبدُ في تبرِّيه مِن حَولِه وقُوَّتِه، وأخلَصَ بيْنَ يَدَي اللهِ بتضَرُّعِه واستِعانتِه واستِعاذتِه؛ زاد اللهُ في حِفظِه، ودَفَع الشَّيطانَ عنه.

كما قال تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الأعراف: 199، 200].

وقال سُبحانَه: وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا [الإسراء: 53].

وعن سُلَيمانَ بنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنتُ جالِسًا مع النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ورجُلانِ يَسْتَبَّانِ، فأحدُهما احمرَّ وَجْهُه، وانتَفَخَت أوداجُه "وهو ما أحاطَ بالعُنُقِ مِن العُروقِ"، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إنِّي لَأعلَمُ كَلِمةً لو قالها ذَهَب عنه ما يَجِدُ؛ لو قال: أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ، ذَهَب عنه ما يَجِدُ)). رواه البخاري

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أي: إنَّ اللهَ الَّذي تَستعيذُ به مِن نَزْغِ الشَّيطانِ: هو السَّميعُ لكُلِّ قَولٍ، ومِن ذلك استِعاذتُك به؛ العَليمُ بكُلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك عِلمُه بما يُلقِيه الشَّيطانُ في نَفْسِك، فلا يَخفَى عليه كَيدُ عَدُوِّك، وهو يَتولَّى أمْرَه وجَزاءَه. موسوعة التفسير